هوامش

يُعدّ تمثال «نهضة مصر» من أهمّ المشاريع الفنيّة في مصر في العصر الحديث، إذ يعبِّر عن تطلّعات مصر التاريخيَّة نحو الحرية والعدالة والمساواة في بداية القرن العشرين

عانى مختار كثيراً من العراقيل والعقبات أثناء عمله، لكنه تغلب على تلك الصعاب وأتم مشروعه (فيسبوك)

تمثال «نهضة مصر»

روح وثّابة وأجواء تحترم الجمال

القاهرة ـ **محمد كريم**

يقول عبد الرحمن منيف (1933-2004) عن محمود مختار (1891-1934): «هذا النحّات الفذ، المملوء بالأفكار والمشاريع الفنية، لم يكن مجرد نحّات، بل هو محصلة لمناخ بالغ الغِنى والتعدد». من هذه العبارة يمكن التأريخ لتمثال «نهضة مصر» باعتباره واحداً من أهم المشاريع الفنية في العصر الحديث، فقد واكب هذا العمل الفني تطلعات متعددة الاتجاهات نحو إحداث تغيير يصاحبه نهضة تناسب مكانة مصر التاريخية في مجالات الحرية والعدالة والمساواة، وكانت البلاد تزخر بالأفكار والأحلام مع حلول القرن العشرين، حيث لعبت الصحافة والأدب والفنون دوراً كبيراً في التعبير عن هذه الروح الوثابة.

نفسية مختار

في هذه الأجواء تشكلت نفسية محمود مختار، ذلك الريفي الذي بدأ حياته مع تشكيل الطين، ثم انتقل إلى القاهرة وهو صبي، ليلتحق بمدرسة الفنون الجميلة سنة 1908، ومنها إلى باريس في منحة ليستكمل فيها أدواته الفنية. ووفقاً لمنيف؛ كان مختار ممثلاً لقطاع واسع من المصريين، كان ممثلاً لهؤلاء الفلاحين الملتصقين بالأرض، وكان معبراً عن أحلام الوطنيين الطامحين إلى الاستقلال والحرية والكرامة، والداعين إلى العدالة والمساواة. كما كان معبراً في الوقت ذاته عن تلك العلاقة التي تربطه بتراثه وأرضه وتاريخه، وبالتالي يريد أن يكون امتداداً، بشكل جيد، لحضارة كانت مزدهرة ذات يوم ثم توقفت! ومن هنا كانت الفلسفة الكامنة وراء فكرة تمثال «نهضة مصر»، المنحوت من الغرانيت، ويصور فتاة مصرية تقف شامخة بجانب تمثال لأبي الهول وتضع يدها اليمنى على رأسه، فيما تضع كف يدها اليسرى على جبينها وكأنها تستشرف المستقبل. يصل ارتفاع التمثال إلى 7 أمتار وعرضه عند القاعدة ثمانية أمتار.

اكتتاب عام

مع انتهاء الحرب العالمية الأولى كانت فكرة تمثال نهضة مصر قد استغرقت تفكير مختار تماماً، حيث عرض في 1918 نموذجاً للتمثال في معرض باريس، رأى النقاد والصحافة الفرنسية أنه أول شعاع تنبثق منه نهضة الفن المصري وحياته حياة جديدة. وفي تلك الأثناء كان سعد زغلول في زيارة إلى باريس مع وفد سياسي مرافق له، وقد اطلعوا على النموذج، الذي يبلغ حجمه حولي نصف حجم التمثال الحالي، وافتتنوا بتصميمه؛ ومن هنا بدأت الدعوة لإقامة التمثال بصورة مكبرة في مصر، فبدأت الصحافة المصرية تتحدث عن اكتتاب عام لإقامة التمثال! وافق مجلس الوزراء في 25 يونيو 1921، على إنشاء التمثال، في القاهرة، وتبنت جريدة «الأخبار» القاهرية الدعوة إلى الاكتتاب فتفاعل معه المصريون بصورة عجيبة، لدرجة أن بعض شيوخ الأزهر كانوا يجمعون التبرعات لبناء التمثال بعد صلاة الجمعة، وقد أكملت الحكومة التكاليف اللازمة. كتب أمين الرافعي، المسؤول عن جريدة «الأخبار»: «لقد شاهدنا من عواطف فقرائنا ما لو كان عشر معشاره عند أغنيائنا لغطى الاكتتاب مرات عديدة، وآخر شيء من هذا القبيل أني تسلمت في صباح اليوم من الإسكندرية كتابا من طفلة صغيرة فقيرة، لا تتجاوز يومية والدها سبعة قروش، يفيض غيرة ووطنية، شرحت فيه حزن والدها الذي لم يتمالك نفسه من البكاء لأنه لا يستطيع أن يقوم بواجبه الوطني، ومع ذلك آلى على نفسه أن يسعى لتوفير ما يمكنه توفيره حتى لا يُحرم الاشتراك مع مواطنيه في الاكتتاب ولو بالقروش، فإنها تكون ملايين». وهكذا تعددت الرسائل المؤثرة من الأطفال والنساء والرجال، خاصة من أهل الريف المصري والطبقات الشعبية الذين رأوا في نبوغ مختار أملاً وانعكاساً لما ينبغي أن تكون عليه مصر وأبناؤها المطحونون بنير الفقر والتهميش.

الافتتاح الكبير

وقد عانى مختار كثيراً من العراقيل والعقبات أثناء عمله، لكنه تغلب على تلك الصعاب وأتم مشروعه، ليكون «نهضة مصر» هو أول نصب يقام في المنطقة العربية في العصر الحديث. في 20 مايو/أيار 1928 أقيم احتفال كبير في ميدان باب الحديد (رمسيس حالياً) لإزاحة الستار عن التمثال. ليكون في استقبال الداخلين إلى العاصمة، ثم انتقل عام 1955 إلى ميدان جامعة القاهرة في الجيزة. وكان عباس العقاد وعبد القادر المازني قد وجها نقداً فنياً للتمثال بعد افتتاحه، نشراه في مجلة «السياسة»، وهو ما يعد أول نقد تشكيلي تشهده الصحافة المصرية. فقد رأى العقاد أن أبا الهول في مشروع التمثال لا يشبه أبا الهول المصري القديم، وإنما هو صورة منقولة عما في معابد البطالمة اليونانيين من هذا التمثال، ولذا فمن الخطأ في قصة الفن والتاريخ أن يختار لتصوير نهضة مصرية تمثالاً بنته في مصر أسرة أجنبية وعندنا تمثالنا ذلك العريق المهيب!

باختصار

كان مختار ممثلاً لقطاع واسع من المصريين، وكان ممثلاً لهؤلاء الفلاحين الملتصقين بالأرض والطين

■■■

وافق مجلس الوزراء في 25 يونيو 1921، على إنشاء التمثال، بالقاهرة، وتبنت جريدة «الأخبار» القاهرية الدعوة إلى الاكتتاب فتفاعل معه المصريون بصورة عجيبة

■■■

في 20 مايو/أيار 1928 أقيم احتفال كبير في ميدان باب الحديد لإزاحة الستار عن التمثال

وأخيراً

سوريون بلا أصدقاء

خطيب بدلة

بمناسبة عيد الصداقة العالمي الذي صادف قبل أيام، لا بد من الإقرار بحقيقةٍ واقعةٍ هي أننا، نحن السوريين، خُلقنا لنعيش من دون أصدقاء. ثمّة سلسلة من القواعد التربوية تلقيناها ونحن في عمر الزهور، أولُها أن الناس بلاء الناس، وثانيها يا جاري أنت بحالك وأنا بحالي، وثالثها إياكم ورفاق السوء، ورابعها «لا تعاشر الردي بيرديك».. وكان معلم صفنا إذا أراد أن يوبّخنا يقول: آه منكم يا أولاد الأزقة.. هذا لأن الوضع الطبيعي للتلميذ النجيب، المربّى في بيته ومدرسته، بحسب معلمينا وآبائنا، أن يبقى في بيته لا يخرج إلى الزقاق إلا في الضرورات القصوى.

نحن، إذن، أمام ثقافةٍ تمتدح العزلة والانغلاق، وتجعلهما موضعاً للفخر والتباهي. وفي هذا الصدد، نتذكر نادرة سياسية بطلُها رئيس وزراء سورية الأسبق، فارس الخوري، الذي كان، ذات سنة، منهمكاً بتشكيل حكومته، فجاءه واحد من معارفه يرشّح له شخصاً ما. سأله عن مواصفاته؛ متوقعاً أن يكون مختصاً في الاقتصاد، مثلاً، أو في إدارة الأعمال، وعنده سجل شخصي يشير إلى خبراته في التجارة، أو الزراعة، أو الصناعة، أو الإعمار، ولكنه فوجئ بوصف هذا الرجل، المرشّح لحمل حقيبة وزارية في دولة صاعدة، بأنه: إنسان طيب جداً، ملتزم ببيته، قليل الكلام، لا أصدقاء له، طول عمره ما دخل سرايا، ولا مخفرا. قال فارس بيك للرجل، بكل احترام: أقترح عليك أن تزوجه أختك!

وحقيقة أن ذلك الشخص لا يصلح لأن يكون (حتى) زوجاً للأخت، بدليل حكاية قديمة متداولة في أرشيف عائلة بدلة، ملخصُها أن رجلاً من معرتمصرين أراد أن يخطب لابنه إحدى بنات عمّي، وكانت فتاة جميلة، فذهب إلى أخيها محمد الذي وُلّي أمرها بعد وفاة الوالد، وفاتحه بالموضوع. ومن قبيل مديح «البضاعة» أمام الزبون، راح يمدح سجايا ابنه: «ابني بيمشي جنب الحيط وبيقول يا رب سترك، ما بيشرب، ولا بيدخن، ولا بيقرا جريدة، وما له أصحاب، ولا أصدقاء». فقال عمي محمد للرجل: «بظن إذا بتبقى أختي عايشة معنا راح تكون مبسوطة أكتر من عيشتها مع ابنك». ولعل من حسن حظنا، نحن السوريين، أننا نمقت النصح، والوصايةَ بشقّيها، البيتي والمدرسي. لذلك، وما إن شممنا رائحة إبطنا حتى تحوّلنا إلى بشرٍ نهمين للصداقة. ومن تجربتي، وأنا أخوكم، صادقتُ عدداً لا يستهان به من الناس، وكانت عندي طبيعة، ظننتها جيدة، ولكن معظم الناس يعتبرونها سيئة، وهي أنني أحب الصديق وأتحمّس له من دون تردد أو تحفظ، ومن دون ترك مسافات أمان.. في سنة 1982، كنت في خدمة الجيش الاحتياطية، فالتقيت بشابٍ يشبهني بهذا الحماس للصداقة، وكان يحكي لي كلَّ شيء عن نفسه وعن أسرته، ويريد أن يعرف كل شيء عني، فأخبرتُه أنني متزوج حديثاً وعندي بنت صغيرة اسمها ريتا، فصار يناديني «أبو ريتا».. وذات يوم سبت، كان عائداً من قريته بعد الإجازة الأسبوعية (خميس وجمعة) وجاء يبشرني، والفرح يغمره، بأن زوجة أخيه ولدت بنتاً، وكانوا يبحثون لها عن اسم. قال: «قلت لهم، بحضي وبديني ما منسميها غير ريتا، ولو إنكم بتعرفوا أبو ريتا تّ تسموها ريتا عْلَى العمياني». لم أقل شيئاً، كنت أصغي إليه، وأنا مستمتع بهذا الكم الهائل من الحب وطيبة القلب، فاعتقدَ أنني غير مسرور لما حصل، فراح يسوّغ لي فعلته: «شوبك أبو ريتا؟ أوعى تفكر إنه خيي ومرته مو كيسين، بحضي خيي مهندس ومرته دكتورة، ولولا هيك ما بقلهن يسموا البنت ريتا».

> معظم السوريين، بلا شكّ، طيبون، وأوادم، ومستعدّون لصداقة الآخرين بقلب طيب

معظم السوريين، بلا شك، طيبون، وأوادم، ومستعدّون لصداقة الآخرين بقلب طيب، ومستعدّون لصداقة الآخرين بقلب طيب، ولكنّ ما نراه بينهم اليوم من ضغائن ومشاحنات، سببه، في ظني، الكارثة الكبرى التي حلّت بهم، والأمل كل الأمل أن يراجعوا أنفسهم، ويدركوا أهمية الصداقة حتى في بناء الأوطان.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**